مقـــدمة

لا جدال فى أن هناك خللاً ما فى الفكر الدينى المعاصر ، ولكن هذا الخلل ليس وليد اليوم ، فهو خلل يمتد لقرون عديدة سابقة شهدت تراجع الحضارة الإسلامية. وقد انعكس هذا التراجع على الفكر الدينى إن لم نقل إن تخلف الفكر الدينى كان أحد أهم أسباب هذا التراجع . ويدل على ذلك أن جهود العديد من المصلحين على مدى القرون الماضية قد انصبت على إصلاح الفكر الدينى اقتناعًا منهم بأن إصلاح الفكر الدينى هو السبيل إلى إصلاح الفكر بصفة عامة ، الأمر الذى من شأنه أن ينعكس بدوره على أحوال الأمة فى شتى أنحاء العالم الإسلامى .

وأبرز من تصدى لذلك فى العصر الحديث كان الشيخ محمد عبده وتلاميذه من بعده . وعلى الرغم من الجهود الحثيثة والمحاولات المتواصلة على هذا الطريق فإن النتائج ظلت متواضعة إلى حد بعيد ، وذلك بالنظر إلى العقبات الكبيرة التى تراكمت على مر الأيام ، وتركت آثارها العميقة على عقول المشتغلين بالفكر الدينى ، مما تسبب فى كل مرة فى عودة المياه الراكدة إلى سكونها المعتاد .

وعلى الرغم من كل ذلك فإننا لم نصل إلى حد اليأس ، ولا يجوز لنا أن نصاب بالإحباط ، فما دامت الحياة مستمرة فى سيرها فالأمل سيظل قائمًا فى تغيير الفكر وتصحيح المسار .

ومن هنا كان هذا التنبيه النبوى الذى يقول : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »[1] . وهذا الحديث ليس المقصود منه حرفية النص وانتظار تمام المائة سنة حتى يظهر مجدد يلقى بحجر فى مياه الفكر الراكدة . فالمقصود هو حقيقة التجديد بصرف النظر عن بداية المائة سنة أو منتصفها أو ختامها .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه .

ولا يجوز أن تتوقف محاولات التجديد والإصلاح بالنظر إلى بطء الثمار ، فبعض الأفكار قد تأخذ وقتًا غير قصير إلى أن تثمر ثمرتها المرجوة . فحياة الفكر ونموه فى حاجة إلى الكثير من الوقت والصبر والعناية المتواصلة حتى تتحقق الآمال المعقودة عليه .

إن الأمة فى حاجة مستمرة إلى التذكير بما يحيط بها من مشكلات وما يواجهها من تحديات على مستوى الفكر بصفة عامة والفكر الدينى بصفة خاصة ، والكشف عن الكثير من الحقائق الغائبة التى توارت أمام ركام الغثاء الذى ملأ الساحة الفكرية الدينية ، كما أن هناك ضرورة ملحة للتوعية المتواصلة بقيم الدين الدافعة إلى تقدم المجتمع وترقية الحياة .

والكتاب الذى يسرنا اليوم أن نقدمه إلى القارئ الكريم نحاول من خلاله – استكمالاً لما بدأناه فى مؤلفات أخرى – أن نلفت الأنظار وننبه الأذهان إلى ضرورة إعادة النظر فى الأوضاع التى آلت إليها أحوال أمتنا الإسلامية على مختلف المستويات بصفة عامة وعلى مستوى الفكر الدينى بصفة خاصة فى محاولة لإعادة الوعى بالمسئولية الحضارية من أجل إخراج هذه الأمة من أزمتها الحضارية الراهنة التى طالت أكثر مما ينبغى .

والموضوعات التى اشتمل عليها هذا الكتاب تمثل مجموعة مقالات ومحاضرات تم إعدادها فى السنتين الماضيتين ، ننشرها هنا دون تغيير أو تعديل . وقد قسمناها إلى خمسة فصول يشتمل كل فصل منها على الموضوعات التى تتصل بطريق مباشر أو غير مباشر بالعنوان الذى وضعناه لكل فصل ، وذلك على النحو التالى :

لقد جاء الفصل الأول بعنوان : الفكر الدينى والحقائق الغائبة ، وجاء الفصل الثانى بعنوان : العقل الإنسانى ودوره فى التقدم الحضارى . أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان : قضايا معاصرة فى ضوء تعاليم الإسلام . وفى الفصل الرابع تناولنا موضوع الإسلام والغرب وقضايا الحوار . أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بعنوان : حوار مع الماضى البعيد .

ونأمل أن يكون فى هذه الفصول فائدة لقارئ أو نفع لباحث أو تنبيه لغافل أو تذكير لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .